من أمثال العرب

قالت العرب: (يداك أَوكتا، وفُوك نفَخ). يُضرَب مثلاً لمن جنى على نفسِه بنفسِه.

أوكتا: ربطتا وشدَّتا، من الوِكاء وهو الرباط المشدود.

وقصة المثل أن رجلاً أراد عبور النهر سباحةً، فجذب قربة ماء فارغةً ثم نفخَها وأوكاها، وكانت ضعيفةَ الوكاء والرباط. ونصحه الناس أن يشد وكاءها فلم يفعل. فلما انتصف به النهر خانته القربةُ وانفلت هواؤها، فصاح بالناس يستغيث. فهرعوا لينقذوه ثم قالوا يلومونه: يداك أوكتا، وفُوك نفَخ.

ويشبهه قول العرب: (سعى إلى حتفِه بظلفِه)، وقولهم: (على نفسِها جنَت براقش).

•••

وقالت: (من مأمنه يُؤتَى الحذِر). يُضرَب مثلاً للحصيفِ الفطِن إذا دهمَته الشرورُ من حيث لا يتوقَّع.

ويشبهه قول العرب: (لا يُنجِي حذَرٌ من قدَر)، إلا أن المثل الأول فيه بيانٌ لمن يهجمُ عليه الأمرُ من حيث لم يخطر له ببال.

•••

وقالت: (قطعَت جهيزةُ قولَ كلِّ خطيب). يُضرَب مثلاً لمن أتى بالكلامِ الفصْل القاطع الموجز الذي يغني عن التطويل والإسهاب، ولا جدال بعده ولا مراء فيه.

وجهيزةُ اسم جارية. وقصة المثل أن قوماً اجتمعوا وقام خطيبُهم في صلحٍ بين حيين قتل أحدُهما من الآخر قتيلا، فبينا هم على ذلك إذ جاءت جاريةٌ اسمها جهيزةُ فقالت: إن أولياء المقتول قد ظفروا بالقاتل فقتلوه الساعة. فقال الجمعُ عند ذلك: قطعَت جهيزةُ قول كل خطيب.

•••

وقالت: (ألقى الكلامَ على عواهنِه). يُضرَب مثلاً لمن تكلم بكلامٍ مرسَلٍ لم يحسُب له حسابا، ولم يشد عليه خطاماً أو زماما، ولم يعطِه حظَّه من الفكر والرويَّة.

والعواهن جمع عاهن، وهو اللين السهل الذي لا عناء فيه ولا تعب معه.

•••

وقالت: (ما حكَّ جِلدَك مثلُ ظُفرِك). يُضرَب مثلاً للأمرِ الذي لا ينجزه غيرُ صاحبه، وإن وكلتَه إلى غيرك أفسدَه أو لم يأتِ به على الوجه المراد المطلوب.

•••

وقالت: (تسمَعُ بالمُعَيدي خيرٌ من أن تراه). يُضرَب مثلاً لمن تكون سُمعتُه خيراً من منظره، فيكون في آذان الناس مشهوراً كبيراً تضخِّمه التوقعات وتزينه الأحلام، حتى إذا لقوه رأوه صغيراً قميئاً تزدريه العين.

المُعيدي: تصغير (المعدِّ)، وهو المنسوب إلى معدِّ بن عدنان. وقد قاله النعمان بن المنذر لما رأى ضمرةَ التميمي، وكان ضمرةُ فتاكاً غازياً مُغِيرا، فلما دخل على النعمان وجده قصيراً هزيلاً فأرسَل كلمتَه تلك مثلا.

•••

وقالت: (تحت الرغوة اللبنُ الصريح). يُضرَب مثلاً للحقائق المخفيَّة التي يستتر في باطنها ما لا يبدو من ظاهرها، ولا يتنبه إليها إلا الفطِنُ اللبيب.

والرغوة –بتثليث الراء–: الزبَدُ الذي يعلو اللبن.

ويشبهه قول العرب: (يُسِرُّ حَسواً في ارتغاء)، وهو مثَلٌ يُضرَب لمن يُظهِرُ أمراً ويريد غيرَه، فيقول الرجل لصاحبه: أعطني اللبن أحتسي رغوته، فإذا أخذ الإناء احتسى اللبن من تحت الرغوة، فضربَته العرب مثلاً لكلِّ خائن يظهر غيرَ ما يُبطِن.

•••

وقالت: (الصَّيفَ ضيَّعتِ اللبن). يُضرَب مثلاً لمن فوَّت أمرَه بنفسِه وأضاعه من بين يديه ثم أقبل يتطلَّبه ويبحث عنه.

وقصة المثل أن امرأةً تزوجَت بعمرو بن عداسٍ وكان شيخاً كبيراً ذا جاهٍ ومنصبٍ ومالٍ، فملَّته وما زالت به حتى طلقها، وتزوجت بعده شاباً غِرَّاً صغيراً لا مال له ولا جاه، فأصابهم الفقر وأجدبت بهم الأرض، فبينما هي على ذلك إذ مرَّت إبلٌ لزوجِها السابق عمرو بن عداس، ورأت أضراع النوق ممتلئةً باللبن فاشتهَته وجاءت تسأل اللبن. فطلع عليها عمرو بن عداسٍ يقول: الصَّيفَ ضيَّعتِ اللبن! وكان طلقها في الصيف.

وقد نبه ابن السكيت والميداني والحريري وغيرهم من العلماء إلى أن الأمثال تُحكَى كما هي، فإذا خاطبت جماعةً بهذا المثل لا تقول لهم: (ضيعتم اللبن)، وإذا خاطبت رجلاً فلا تقول: (ضيعتَ اللبن). وإنما يُحكَى المثل على ما ورد: (ضيعتِ). لأن المقصود ما وراء الألفاظ من المعاني.

•••

وقالت: (إن رُمتَ المحاجزَة فقَبْل المناجَزة). يُضرَب مثلاً لمن تسعَه الفرصةُ أن يتدارك أمراً ويتخذ قراراً قبل أن يُحال بينه وبين أمره ولا يكون ذلك إليه.

والمحاجزة: من الحاجز، وهو المانع الذي تمنع نفسك به وتحوطها منه، وأراد بها الفرار عن المواجهة.

والمناجزة: اللقاء والعراك. كأنه قال: بوسعك الفرارُ قبل أن تلتقي السيوف.

•••

وقالت: (إذا عزَّ أخوك فهُنْ). يُضرَب مثلاً لحُسن المسايسة والمطاوعة بين اثنين. فإذا كانت لحظةُ حميةٍ وغضبٍ من أخيك واحتدم الموقف بينكما فأطفئ نار غيظه ببردِ تلطُّفك وحُسن مواتاتك.

•••

وقالت: (رضيَ من الغنيمةِ بالإياب). يُضرَب مثلاً لمن أمعن في طلبِ أمراً وتحصيله فلم يقدر عليه واكتفى بالقفُول منه سالماً معافى.

•••

وقالت: (لا يُطاعُ لقصيرٍ أمر). يُضرَب مثلاً للرجل الذي يقول الحكمة ويشير بالرأي فلا يُسمَع له ولا يُلتفَت إليه، ولا يملك اتخاذ القرار وإمضاء الرأي.

وله قصة مشهورة طويلة يُعنوَن لها بـ(مصرع الزبَّاء)، فطالعها مشكوراً في كتب أخبار العرب.